



# إختلال منظومة القيم في الرواية العراقية الجديدة (مقاربة في الموضوعات)

الباحثة

أ. م. د. خالدة حاتم علوان

وزارة التربية - المديرية العامة لتربية بغداد

الرصافة الأولى

معهد الفنون الجميلة - قسم السمعية والمرئية

07701478392 - 07500626753

khalidahatem22@gmail.com





ادانة تلك الممارسات ومسبباتها ومحاولة تفكيكها.

الكلمات المفتاحية: منظومة القيم، الرواية العراقية

الجديدة، الانحلال الاخلاقي، الانحلال الفكري.

## إختلال منظومة القيم في الرواية العراقية الجديدة

### مقاربة في الموضوعات

\* \* \*

### ملخص البحث

ينصرف مضمون هذا البحث الى دراسة السبب الرئيس المسبب لانهايار منظومة القيم، ومن ثم السلوكيات - يقابلها في النص الروائي الثيمات أيّ الموضوعات - التي تسببت بانهايار تلك المنظومة، اذ تعتمد الدراسة الى التركيز على النصوص الروائية التي شخصت تلك الموضوعات، حتى شكلت ظاهرة واضحة وبارزة في السرد الروائي العراقي بعد العام ٢٠٠٣، وتكمن أهمية الموضوع في كونه يحدد مكانمن الخلل في بنية المجتمع العراقي التي سببت هدماً وتفككاً، اذ يشكل العمل المتخيل/ الجنس الروائي وسيلة لإصلاح القيم او المنظومة القيمية في المجتمع المعيش، فجاءت الدراسة في مدخل وثلاثة مباحث، تناول المبحث الاول انعكاس الامن وتداعياته على الفضاء/المكان وطبيعة الممارسات، فيما تناول المبحث الثاني موضوعات الانحلال الاخلاقي المتعلقة بممارسات الجسد، اما المبحث الثالث فلقد تناول موضوعات الانحلال الفكري المتعلقة بقيمة المبادئ ولايتعلق بالجسد، وخلصت الدراسة الى نتائج لعل اهمها



## مدخل

شكلت احداث العام ٢٠٠٣ وما تلاها انعطافة تاريخية في مسيرة الرواية العراقية، وانتقالها الى البحث في المضمون أكثر منه في الشكل، ربما بسبب من طبيعة الظروف المعيشة وقسوتها، ومحاولة الروائيين توظيف اليومي المعيش في محكياتهم، لذلك فقد برزت ثيمات الفوضى والخراب والدمار وانحلال القيم واضحة، حتى شكلت ظاهرة طاغية، بوصفها تمثيلاً لمرحلة الاحتلال وما بعده، ومن هنا شكلت تلك الثيمات أهم مميزات روايات ما بعد التغيير التي تتخذ من الفضاء الكابوسي مركزاً لها، يحاول الروائيون فيها خلق عالم موازٍ لعالم الواقع وتصويره بقبحه وتشاؤمه وظلمه وقبحه ورعبه، اذ يكون الناس في ذلك المجتمع المتخيل (غير سعداء ومرعوبين ولا يتم معاملتهم بطريقة عادلة أو انسانية... فهي عالم كابوسي وغير مرغوب به)<sup>(١)</sup>، وما اشبه حال بغداد، بحال المدن الاوربية في عصور ما قبل التنوير، فما حصل في بغداد «لا يختلف كثيراً عما كان يحصل في تلك المدن، فمحاكم التفتيش قائمة والقتل بوسائل شنيعة متوفر، والذبح على اساس الاعتقاد سائد، وكتم الافواه وحزّ الرقاب، والغاء

## Abstract:

The content of this research (the disruption of the value system in the new Iraqi novel) is devoted to studying the main reason for the collapse of the value system, and then the corresponding behaviors in the narrative text, the topics that caused the collapse of that system until it formed a clear phenomenon in the Iraqi narrative after the events of 2003, and lies The importance of the study in that it determines the deficiencies in the structure of society, as the fictional narrative constitutes a means for reforming the living community, so the study came in three axes and an introduction ,and The study reached a set of results related to the causes of the collapse of the value system and condemned it

Key words : Value system , The new Iraqi novel , Moral decay, Intellectual decay .

\* \* \*

(١) الديستوبيا، المستقبل المخيف في الادب العالمي، مقال من شبكة المعلومات [www.noonpost.net](http://www.noonpost.net) تم الاطلاع بتاريخ ٢٠٢٠/٤/٤ .

شكلت ظاهرة واضحة وملموسة تبشر بولادة جنس روائي جديدة استطاع الخروج من اشتراطات الكتابة التي سبقته، فهو وان خرج من دائرة الخوف - ونعني زمن الديكتاتورية - الا انه كتب عن الخوف والضياع وفقدان الاستقرار، فنحن هنا بصدد ظهور (نوع مختلف من الوعي وطرائق مختلفة في فهم وتحليل وتلقي المؤشرات سواء التي يبعثها الواقع أم التي يتضمنها المتخيل الادبي والابداعي)<sup>(٤)</sup>، ذلك الوعي الذي تمثل في ادراك الروائيين للمستقبل الذي ينتظر المجتمع بأفراده كافة «أن يكون الانسان واعياً بقيمة القيم، فإن ذلك قيمة في حد ذاتها [كما] إن مستقبل الانسانية اليوم، رهين بدرجة الاعتبار الذي نعطيه للروح الانسانية، وبالاحترام المتبادل للقيم، تلك القيم التي تشكل أساس استمرار الحياة في ظل الكرامة، ومن ثم القيمة المتصاعدة للقيم في أيامنا العصبية هذه»<sup>(٥)</sup>، ومن هنا تكمن اهمية ذلك المتخيل في كونه (مختلفاً عن الخطاب السائد الذي استكان اليه المتلقون بفعل العادة او بقوة القهر والنبد كما انبأنا بذلك افلاطون في جمهوريته)<sup>(٦)</sup>، فلقد ركزت النصوص الروائية على فقدان قيمة الفرد بسبب سيادة قوانين الغاب، حين صورت

الأخر، كلها شائعة»<sup>(١)</sup>، اذ يشير تقرير المنظمة العمل ومنظمة حقوق الانسان التي تناولت وضع العراق الاجتماعي الى أن البلد قد أصبح «مركز الخطف والدعارة وقطاع الطرق في الشرق الاوسط ... وسرد التقرير حقائق مخيفة عن العراق تتعلق بالفقر والبطالة والدعارة وخطف وبيع الاطفال والايتماء والاتجار بالأعضاء البشرية واستعراض لعصابات تهريب الاطفال تدار من قبل ممرضين تم كشفهم في اكثر من مستشفى حكومي»<sup>(٢)</sup>، وفي العراق انشغل الروائيون بتصوير مشاهد الفوضى وانعكاساتها في المجالات كافة، واثرها المسبب للانهايار المجتمعي، الذي يعد اهم ثيمات أدب التغيير، موظفين خصوصية الرواية بوصفها «فنّ مرّن، فهي تمتاز بقابليتها للتشكل وفق هوى مؤلفها، وبمساحتها غير المحدودة التي تتيح لها معالجة القضايا بدون قيود، وبعوالمها القريبة من الحياة اليومية التي تسمح للروائي بتقريب المسائل من الأفهام بعرضها في سياق يشبه سياقها الحقيقي»<sup>(٣)</sup>، فالروايات - قيد الدراسة - قد ضجرت بتلك الثيمات وتنوعت ولم تكتف بثيمة واحدة انما

(١) بغداد والامن وهموم اخرى، حسن البيضاني، دار ومكتبة

عدنان، بغداد، ط١، ٢٠١٢، المقدمة ٧:

(٢) ما الذي أفرزه الاحتلال من فساد وتردي بالأخلاق والقيم والمبادئ على المجتمع العراقي؟ جسر صالح المفتي، مقال من شبكة المعلومات، <http://www.ahewar.com> تم الاطلاع بتاريخ ٢٠٢٠/٤/٤

(٣) الرواية والقيم، الدكتور لطيف زيتوني، دار الفارابي، ط١،

٢٠١٨، مقدمة الكتاب : ٧.

(٤) المتخيل المختلف، دراسات تأويلية في الرواية العربية المعاصرة، محمد معتصم، منشورات ضفاف - منشورات الاختلاف، بيروت - لبنان، ط١، ٢٠١٤: ١٤

(٥) قيمة القيم، المهدي المنجرة، ط٢، مطبعة النجاح،

الدار البيضاء، ٢٠٠٧: ١٣-١٤

(٦) م.ن: ١٤



والممنوعة في الادب العربي قمة الانهيار الاخلاقي والقيمي، فطرحنا الاسرار الخفية والوقائع اليومية التي يموج بها قاع المجتمع<sup>(٣)</sup>، وان كانت مطروحة سابقا لانها طرحت بجرأة صادمة وفاضحة، واجمالا نقول: ظهر لدينا شكل اخر طغت فيه تلك الظواهر لتشخص الخراب الديني والسياسي والاجتماعي، اذ استقرت مع نصوصنا ظاهرة مشخصة بدقة طرحها الروائيون بعد وصولهم الى حالة من انعدام الرؤية وضبايتها التي كانت السبب الرئيس في انهيار منظومة القيم المجتمعية، ومن هنا يمكننا تحديد أهمية الدراسة التي تنقسم على فرعين عامين: يمثل في تحديد مكان الخلل في بنية المجتمع التي سببت هدماً وتفككاً، وخصوصاً في تحديد الجنس الروائي وسيلة لإصلاح القيم او المنظومة القيمية في المجتمع، لذلك جاء هدف الدراسة الاساس في (اصلاح منظومة القيم المنهارة عبر اعادة تأسيس وبناء مجتمع خال من تلك الظواهر المشخصة)، اما عن الجهة المستفيدة من الدراسة، فيمكننا تحديدها بـ(وزارة التربية، ووزارة العمل والشؤون الاجتماعية، ووزارة الداخلية، ووزارة الثقافة، وجهاز الامن الوطني).

تأسس مدينة الخراب العراقي المتخيلة التي مثلت مجتمعاً منهاراً في قيمه، سببه انعدام الامن أولاً، في دراستنا عبر مباحث ثلاثة - ونعني به هيكلية

(الفرد المأزوم المقهور) (ملتقياً) بالسياسة مشخصة في واقع مسدود الافاق، فلا يعود يحس بانتماء الى الوطن او المجتمع، بل يسعى الى شق طريق له وسط كتل بشرية تحكمها قوانين الغاب بعيدا عن التعاليم والمواثيق والدساتير التي سطرته [المؤسسات] <sup>(١)</sup>، واذا كانت السياسة هي العمود الثالث المتحكم بالسيطرة على قيم المجتمع، فإن الدين والجنس هما العمودين الاخرين الذين وظفهما ادباء ادب التغيير - وان كانت مرحلة التطرق لذلك الثالث قد تجاوزها الروائيون من قبل الانها - في نصوصنا قيد الدراسة - حاولت ان تؤسس لكيفية تجسيد الخراب عبر ذلك الثالث - ليعالجوا الابتذال الديني ويفضحوا ممارسات القائمين على المؤسسات الدينية، الذين يجعلون الدين (اداة يستغلها اصحاب الدعوات السياسية والايديولوجية لتمرير (خطاباتهم) ولجزم تحرير الجسد والفكر، وهذا ما يجعل الدين في كثير من النصوص يرتبط بدائرة البطيركية وقيمها الوصائية التي تعتمد تأويلات جامدة للنصوص الدينية، ترمي من ورائها الى قمع رغائب الانسان وعواطفه<sup>(٢)</sup>، وهو ما عمد الروائيون الى ادانته حين اتخذه القائمون على المؤسسة الدينية اداة لتحقيق منافع دنيوية، فيما شكلت ثيمة (المثلية) بوصفها الثيمة المحظورة

(١) الرواية العربية ورهان التجديد، د. محمد برادة كتاب دبي الثقافية، دار الصدى للصحافة والنشر والتوزيع، العدد

٤٩، ط ١، مايو، ٢٠١١: ٦٥

(٢) الرواية العربية ورهان التجديد: ٦٥

(٣) ينظر: ندوة الرواية العربية والنقد ٨-٩ كانون الثاني ٢٠١٠، مجموعة بحوث، المدخلات والتوصيات، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، ط ١، ٢٠١٠: ١٥٣

والمفاسد التي تقوض أمن المجتمع واستقراره، ونقصد بالإيجابية قيم التحلي بالفضائل والأخلاق والأعراف المجتمعية التي لا تخالف الشرع<sup>(٣)</sup>، وفي الدراسة نعني بها معالجة الروائيين للخل والانحراف الحاصل في تلك المنظومة وتفشي القيم السلبية على حساب القيم الإيجابية في المجتمع.

الرواية العراقية الجديدة / نعني بها الرواية التي كتبها روائيون عراقيون بعد تغيير النظام السياسي في العراق بعد العام ٢٠٠٣، والتغييرات التي طرأت على الجنس الروائي من حيث البنية والمضمون، وفي دراستنا عمدنا الى تناول جانب المضمون/ الخطاب، وتركيز الدراسة على مقاربة الخطاب الروائي المشخص لانحلال القيم بنوعها. السقوط القيمي الفكري / ونعني به السقوط الفكري وليس المادي، اي ما يتعلق بالقيمة ولا يكون الجسد اداةً لتمثله، وقد دُرس وفق ثيمات الرشوة والسرقه والقتل.

الانحلال الاخلاقي / ونعني به السقوط المتعلق بممارسات الجسد بوصفه الشكل المادي لذلك السقوط واداةً للتعامل، و قد درس وفق ثيمات المثلية الجنسية و الدعارة و الاغتصاب.

\* \* \*

الدراسة -، يتعلق الاول بتمثلات الفضاء الكابوسي وشبح الموت الذي وشح المدينة، فيما تعلق المبحثين الاخرين في كيفية تجسيد ذلك الخراب، وهو ما استدعى البحث في الثيمات بوصفها ظاهرة طاغية شكلت حضوراً وبصمة لا يمكن تجاهلها، بل استوجبت دراستها والتوقف عندها، لتكمن أهمية دراسة ثيمات القبح - اذا ما جاز لنا التعبير - في قدرة (النقد بل وفاعليته وحضوره وجسارته في مواجهة النصوص والخطابات والاشياء والاحداث في واقعيتها الصادمة والمؤلمة والمزعجة)<sup>(١)</sup>، وهو ما دعانا الى معالجة هذا الموضوع، بوصفه يحمل ابعاداً اجتماعية تتخطى السائد في الدراسات، لتضع الناقد امام المسؤولية من تلك الازمة الاخلاقية والانسانية<sup>(٢)</sup>، فاذا كان الروائيون قد حاولوا كتابة متخيل مواز للواقع والتاريخ، فان النقد قام بالكشف عن كيفية تجسيده - اي ذلك المتخيل - ومدى نجاح الروائيين في تلك المهمة.

وقبل البدء بتحليل النصوص، اقتضت الضرورة الاشارة الى مصطلحات الدراسة، وهي:

منظومة القيم / يقصد بها «القواعد الكلية الحاكمة والمعايير الثابتة الراسخة والمبادئ المطلقة التي تضبط وتقيّم تصرفات ونشاطات المجتمع السلبية والايجابية، ونقصد بالسلبية تلك القيم المتعلقة بالتروك أو قيم التخلي عن الموبقات والشورور

(٣) منظومة القيم وأثرها في بناء المجتمعات وانهارها:

أ. شريف عبد العزيز، مقال من شبكة المعلومات:

https://khatabaa.com تم الاطلاع بتاريخ ٢٠٢٠/٤/٦

(١) ندوة الرواية العربية والنقد: ١٨٥

(٢) ينظر: م. ن: ١٨٥



## المبحث الاول

### تداعيات فقدان الامن و تمثلات الفضاء الكابوسي

غير منتهي، فد(الليل في بغداد مرعب، شوارع مقفرة وزوايا معتمة يطن فيها الصمت . لا كهرباء ولا اضاءة ولا ديبب حياة الا في بعض المناطق التي يسكن فيها بعض السياسيين وقادة الاحزاب، والتي تضم بعض المطاعم، وبعض المحلات التجارية والتي تعج بجيش كامل من اعوانهم ومن رجال الحرس الوطني ... العتمة هي التي تلون الحياة والموت في بغداد)<sup>(١)</sup>، واذا كانت رواية (مشرحة بغداد) قد قدمت لثنائية الموت/الحياة والمقابلة بين طبقة السياسيين والعامه، فلقد قدمت رواية (هتليه) جوها الكابوسي عبر تقنية الترميز حين عمدت الى تأليه السلطة وتصوير العامة كالعبيد حين صورت انكسار الافراد في ظل تلك الحكومات فلقد كان (الكاهن الاعظم / المحتفي بسرور / يراقب وحشة الطريق / وندندات الكهنة / وتراتيل العبيد الذين يتوسلون ايامهم، بان تبعد الذعر والقلق والانكسار)<sup>(٢)</sup>.

وقد يصل الامر الى درجة معايشة الموت والتأقلم معه، لا بوصفه نهاية للحياة، بل بوصفه أحد مظاهرها، اذ يتحول الى حالة قيد التجربة ولاسيما حين تتعدد الانفجارات في المكان الواحد، وهو ما شخصته رواية (خان الشابندر)، اذ يصف الراوي / الصحفي ذلك حين يسمع دوي الانفجارات مع سائق التاكسي الذي يستفهم منه الصحفي بعد ان حصلت تسعة انفجارات في يوم واحد عن كيفية مواصلتهم الحياة

(٢) مشرحة بغداد، برهان شاوي، دار ميزوبوتاميا، بغداد،

ط ١، ٢٠١٤: ٤٧

(٣) هتليه، شوقي كريم حسن، ط ١، ٢٠١٦: ٢٨٠.

قد «لا تأتي بجديد عندما نقول ان الاحتلال وما يترتب عليه من تداعيات كارثية، انما يشكل الركن الاساس في عملية انهيار المجتمعات ووقوعها في براثن فوضى تقود الى سلوك هدام يهدم القيم الاجتماعية بمختلف أشكالها ومسمياتها... ومن أعظم النتائج المأساوية التي تتعرض لها البلدان المحتلة هي تكون مجتمعات ضعيفة وهشة تنحل فيها البنى الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والثقافية»<sup>(١)</sup>، ولعل تطبيقات تلك الظواهر لاشك اول ما تظهر وتتضح في المكان المعيش، لذلك شكّل المكان في محكيات الخراب وقيمات الانحلال القيمي صورة للدمار والفوضى والخوف والقلق والترقب، ومعايشة للموت، هو المكان شبه الخالي من الحياة، ففيه السلطة الدينية والسياسية التي يعيش رجالها عالماً آخر يقف على النقيض من حياة افراد العامة في المجتمع ففي الوقت الذي ينعم فيه رجال السلطة بالرفاهية والامان، يعيش افراد المجتمع حالة فقدان تام للأمن والامان وفقر وقتل وصراع

(١) ما الذي أفرزه الاحتلال من فساد وتردي بالأخلاق والقيم والمبادئ على المجتمع العراقي: ١

ولا تكتفي النصوص الروائية بالإشارة الى حادثة التفجيرات الارهابية، انما تشير للصراع الطائفي الذي اكتسح العاصمة بغداد وقضية القتل على الهوية، حين اختفى رجال الشرطة واخلي المكان للمليشيات المسلحة بحسب توصيف رواية (ليل علي بابا الحزين) ف(اخذت بوادر الخطر القادم تظهر تباعاً : فذات يوم انتشر خبر تعرض عسكري سابق كان في طريقه الى بيته، لإطلاق نار نجا منه بأعجوبة، فعمد فجر اليوم التالي الى الفرار بأسرته، اعقبه بعد ايام تصفية فلاح عجوز اعتاد المرور بشارعنا محملاً بأدواته المعهودة للاعتناء بأشجار النخيل لقاء مبالغ متواضعة، فقد طورد من بيت الى بيت وهو يستغيث وما من مغيث لينحر بدم بارد قرب باب بيتي بعدما عجز عن الركض ! وسرعان ما اغتيل رب اسرة يقع بيته على بضعة بيوت من بيتي، كان قد الف الذهاب الى الجامع القريب فجر كل يوم لأداء صلاته قتل امام بيته، فبقي دمه المسفوح على شكل بقعة كبيرة لطخت اسفلت الشارع اسابيع<sup>(٣)</sup>، فيما تطرح رواية (كوثاريا) توصيفها لتلك الحقبة بعصر الفوضى حين يصف الراوي حالة الاقتتال الطائفي والصراع الدائر في البلد موظفاً الرمز قائلاً (عصر الانفلات والفوضى قد ايقظ جميع خفافيش ليل الكبت والعسكرة، يتخبطون عمياً هائمين على وجوههم، يصطدمون بكل شيء، يحطمون كل ما يصطدمون به، كل واحد منهم يدعي

قائلاً -) كيف تتمكن من العمل وسط هذه الازمات ونقاط التفطيش والانفجارات التي لا تنتهي ؟ نظر الي مستغرباً سؤالي ...

- لقد خبرنا الموت يا استاذ .. عندما توقفنا في احد التقاطعات سمعنا دوي انفجار شديد .. كان قريباً جداً هذه المرة لدرجة ان العصف اطار لافتة المرور التي امامنا .. كاد قلبي ينخلع من مكانه، بينما هو ظل هادئاً ولا مبالياً ثم علق ببرود :

- هذا الانفجار العاشر .. الم اقل لك ؟<sup>(١)</sup>، او يتكرر مشهد معايشة الموت في اكثر من رواية، ففي رواية (زهامير x) يصف الراوي تألف العراقيين مع مشهد الموت حتى وصلوا الى مرحلة معاودة ممارسة الحياة اليومية بعد مضي لحظات على الانفجار الذي كان قريباً منهم، فيقول (يبدو بعضهم حزيناً في الظاهر ... وفي دواخله اللامبالاة مستشرية ... ردة الانفعال هي السائدة ... مثلما هؤلاء الذين عادوا الى موائدهم يثرثرون .. بعد ان نفضوا عن ثيابهم شظايا الزجاج السخام ... كأن شيئاً عادياً مر بالقرب منهم، اخذوا يشربون ويراقبون الدخان المتصاعد من النار الخافتة في السيارة المحترقة وقد غمرت المشرب رائحة شواء ممزوج بالدخان)<sup>(٢)</sup>، والواضح ان معايشة تجربة الموت اصبحت عادة لدى العراقيين، حتى بات لا يشكل خطراً او خوفاً من تحققه لديهم .

(١) خان الشابندر، محمد حياوي، دار الآداب، بيروت ط ١، ٢٠١٥ : ٩٠ - ٩١ .

(٢) زهامير x، عبد الزهرة علي، دار ميزوبوتاميا، بغداد ط ١، ٢٠١٥ : ٢٢ .

(٣) ليل علي بابا الحزين، عبد الخالق الركابي، دار ومكتبة عدنان، بغداد، ٢٠١٣ : ٢٨٩ .



## المبحث الثاني

### الإنحلال الأخلاقي

ونعني به السقوط المتعلق بممارسات الجسد بوصفة الشكل المادي لذلك السقوط واداءة للتعامل، وقد درس وفق ثيمات المثلية الجنسية و الدعارة و الاغتصاب.

#### • المثلية الجنسية :

مثلت هذه الشيمة محظورا في الخطاب الروائي العراقي و العربي على حد سواء، الا انها اتخذت مساحة في المتخيل الروائي الجديد، فلقد كانت (مقيدة بالكثير من الاحكام و التصورات الفكرية، وتقترن في المعتقد والمتخيل الجمعي بكل اشكال الكارثة لذلك فالكتابة عنها تعد تجاوزا للخطوط الحمراء التي رسمتها المجتمعات العربية الاسلامية)<sup>(١)</sup>، لكنها مع نصوص الديستوبيا شكلت اهم مظاهر تمفصلات الخطاب لديها، فلقد طرحت النصوص المثلية بنوعها الذكوري (اللواط) و الانثوي (السحاق)، وما يسجل في هذه النصوص انها قدمت نقدها لأسباب شيوع الظاهرة، كما لا تخفى الاشارات الى نقد السلطة بوصفها المسبب الاول لهذه الظاهرة، ففي رواية (الخفافيش تراود الضياء) يطرح الروائي تلك الشيمة عبر سرد مشكلة

انه البلبل الفتان، الحريص على البستان، ويستدعي جيوش الظلام و نيران الاحقاد من الجيران لإحراقه وتتبع عصافيره بالقتل والتدمير من شجرة الى شجرة، من عش الى اخر، قاموا بتقسيمه الى عدة اقسام بخطوط وحواجز وهمية، والموت مصير من يتجاوزها ومن لا يتجاوزها ايضاً<sup>(٢)</sup>، وكأن الروائي ينطلق من مقولة البقاء للأقوى في توصفيه لتلك الفئات المتصارعة على السيطرة في العراق و حكمه ولا تخفى الاشارة الى نقد السلطات الاسلامية المتصارعة على الحكم و الدعم الخارجي المقدم لها.

\* \* \*

(١) كوثرانيا، نعيم آل مسافر، دار ميزوبوتاميا، بغداد، ط١،

(٢) المتخيل المختلف: ١٠٨.

كان يعرفهم في مدينة (الاسلاف) و منها شخصية عبودي الذي اختطف (من قبل احدي الميليشيات الاصولية التي دأبت على تحذيره من مغبة تماديه في « شذوذ» على هواه ولا سيما مع الامريكان، ولم تطلق سراحه الا و هو بين الحياة والموت على اثر الساق اليتيه بالصمغ الاميري ...  
- وهل تاب؟ ...

- ابدأ، فهو الان وبدفع من الامريكان، بصدد انشاء جمعية لحماية ال...<sup>(٣)</sup>!!  
- قل المثليين يا متخلف! ... متى تتثقف فتتهذب الفاظك؟

صاح به نجيب و هو يكاد ينهار في موضعه من شدة الضحك، بيد ان حمزه واصل تمتماته ... (من كان) يسمى في الماضي بـ(ال...) اضحى بفضل الاحتلال يسمى «مثلي»<sup>(٣)</sup>.

وفيما يتعلق بالنوع الثاني من المثلية الجنسية و نعني به «السحاق»، فلقد سجل ظهوره في نصوص الدراسة، بسبب من الانحلال الاخلاقي حين وصلت الحال الى ممارسة الجنس بين النساء بعضهن البعض، وتأتي نصوص السرد الحميمي بين المثليات لتشخص تلك الاسباب و من منطلق ثنائية معينه، ففي رواية «كوثاريا» تقوم الممارسة على علاقة الاكتمال بين المرأتين وفق ثنائية المرأة القوية / المرأة الضعيفة، و محاولة اشباع رغبة جسدية

الشاب للطبيب النفسي ف(يقول الشاب العشريني ان اسمه يونس ... يلاحظ ارتباك الشاب العشريني و هو يفشل في بدء تبين سبب حضوره للعيادة فيحاول تشجيعه ...

- سأخبرك كل شيء يا دكتور لأنني أثق بك ... منذ سنتين هناك رجل يبتزني ويغتصبي ... منذ ذلك الحين ابتدأت مشكلتي ... لم اعد رجلاً، و لم يصدم جمال بقصة الشاب الدرامية فقد تعود أن يستمع الى الغرائب في عيادته ... تطرف الانحدار الأخلاقي الذي حصل و يحصل و سيحصل ...

- لماذا تسمح له باغتصابك؟  
- قلت لك يا دكتور انه يبتزني ...  
- ماذا لو لجأت الى رجل الدين في جامع منطقتكم ... فهؤلاء لديهم وسائلهم ... يبتسم الشاب بمرارة - انه شيخ الجامع ... الشيخ (هاشم)<sup>(١)</sup>.

و اذا كانت رواية (الخفافيش تراود الضياء) قد شخصت شذوذ شيخ الجامع ممثلاً عن السلطة الدينية و وضحت حجم الابتذال الديني الذي وصلت اليه تلك المؤسسات، فأن رواية (ليل علي بابا الحزين) قد طرحت تلك الثيمة بوصفها قد وجدت البيئة المناسبة لشيوعها ولا سيما مع المحتل الذي شجع تلك الممارسات بدءاً بممارستها مع العراقيين و من ثم التشجيع على انشاء جمعية للمثليين، يتضح ذلك حين يتتبع الراوي / البطل اخبار من

(٢) كلمة نابية قمنا بحذفها.

(٣) ليل علي باب الحزين: ٣٥٤-٣٥٥.

(١) الخفافيش تراود الضياء، ميثم الحللو، دار سطور، بغداد،

١٥، ٢٠١٥: ٨٩-٩٠.

بدأت بمداعبتها... ثم سحبتها الى غرفة نومنا، خلعت قميص نومها ونثرت شعرها، تعريت في واحة الاثم. اطفأت الانوار في الغرفة... وبقينا وحدنا في الظلام يرافقني ارتعاش الرغبة<sup>(٢)</sup>، ولا تخفى اشارة الراوي الى الدوافع الاخرى عدا الامراض الجسدية والنفسية المتمثلة بالاستخدام السيء للتكنولوجيا بتحول المجتمع من حالة الانغلاق وما يرافقه من كبت الى حالة الانفتاح وسلبياتها و الجهل بمتربتها لتلك المشاهد ولأفلام بما فيها من مشاهد خادشه للحياء و اباحية و خطرهما في تحفيز تلك الدوافع.

#### • الدعارة:

تشكل الدعارة بوصفها ظاهرة سلبية واحدة من اهم الآفات التي تهدد بنية المجتمع، اذ انها تقوم على مبدأ النفعية، يتجرد الفرد فيها من القيم كلها حين يكون الجسد - و هو معبر الوجود- اداة و وسيلة اساس فيها ف(حين يستباح الجسد و يغدو سلعة يستهلكها زبون يدفع مقابلا، يتم انتهاك كل القيم الانسانية المفترض توفرها في العلاقة بين الرجل و المرأة، يصبح الجنس مادة للتجارة و الربح مقابل العيب بحرمة الجسد و الروح)<sup>(٣)</sup>.

وعلى الرغم من تعاطف الروائيين من النساء العواهر بوصفهن ضحايا، الا انهم وضمفوا تلك الثيمة بجرأة حتى ان بعضها بنيت ثيمته الاساس على الدعارة و منها رواية (خان الشابندر) التي بينت

(٢) زهايمر: ٦٠-٦١.

(٣) البغاء او الجسد المستباح، فاطمة الزهراء ازرويل، افريقيا الشرق، بيروت- لبنان، ٢٠٠١: ٩.

ملئ فراغها غياب الرجل ف(ام سمير غبراء خبيره في اصطياد الغبروات الضعيفات، تتربص بهن كعنكبوت ماهر يتربص بفريسته ثم يطبق عليها مرة واحدة، ولا يدع لها مجالاً للتراجع... تعرف مواطن الضعف والاثارة عند اي غبراء وكيف تثيرها و تخمدتها، فهي غبراء و تعرف مشاعر مثيلاتها جيدا و متشبهة بداحس تتقن دوره بكل سهيل الذكورة الجامح فيها، كانت تحاول لمس اماكن الإثارة في جسد ام نبيل كلما زارتها بطريقة تحاول جهد الامكان جعلها عفوية، فيتدفق الدم الى وجهها دفعه واحده)<sup>(١)</sup>.

فيما تنطلق رواية (زهيمر x) في طرحها لتلك الثيمة وفق ثنائية المرأة القبيحة / الجميلة ليكون دافع العلاقة محاولة التعويض عن مفقود يتعلق بالشكل و الجسد، اذ تسرد العمدة (نوال) و التي اتخذت من الدين اداة لتمارس رغبتها مع زبائنها اذ ادعت التدين غطاء لها، فتسرد مشكلتها المثلية حين قارنت حالها مع حال اختها الاصغر منها والاجمل فتقول (اهتمت بملابسها وزينتها اضافة الى جمالها الباذخ... حتى اخذت اشتهاها كل يوم، لكن رفضها لي و ابتعادها عني جعلني ابحت عن سبيل يعوضني عن الفشل الذي اصابني حتى اضطربت عندي الغدة الدرقية... ذات يوم كنا انا و اختي نشاهد فلما رومانسيا اجنبا على شاشة التلفاز... اخذت الرغبة تشعل بركاني... وترتقي حرارتي سلم جسدي... احسست اني اعيش في حياة اخرى التفت لأختي و

(١) كوثرانيا: ٥٦.

و أهلي لا يقبلون بخروحي هكذا ٠٠٠ و أنا لست فتاة رخيصة يمكن شرائي بماله، و كل ما يمكن أن استخدم من كلمات الشرف و العفة و التربية و الاصول الدينية و الاجتماعية ... الا ان العقل الشيطاني لأمي كان يخطط بشكل اخر ... اذ اشترت لي جهاز هاتف محمول من النوعية الجيدة التي يمكن ان يسجل الاصوات. وطلبت مني ان اسجل كل ما يدور بيننا من احاديث، بل واكدت لي ان ادفعه لمضاجعتي من خلال التلفون<sup>(١)</sup>، فحين تشكل الام النمذج السيء لأبنتها و معلمتها الاولى لممارسة مهنة الدعارة، يكون الواقع الاسري قد وصل الى اعلى مراحل الانحلال و التفكك و الانحراف، فيكون تسليع البنت قمة الابتذال الاخلاقي و الانساني، و هو ما عمد النص الروائي الى فضحه.

و اذا كانت الدعارة قد فرضت على نساء الروائيتين السابقتين ونعني (خان الشابندر) و(مشرحة بغداد)، فإنها قد جاءت بناء على رغبة النساء في روايتي (زهايمر) و(بغداد مالبورو)، ففي رواية (زهايمر) تحاول شخصية الرجل / فرهود تحقيق مكاسب ومصالح شخصية سياسية عبر استغلال جمال هيفاء، بل ويصل الامر لتقديم (المرأة) كهدية، وكأنها سلعة تباع وتشتري وتهدي، يصف ذلك الراوي على لسان فرهود الذي افسح عن نيته بالقول (جاءت تشق صفوف الجالسين بعطرها الانشوي الفواح، تمايلت الرقاب باتجاه سيرها ... هناك وراء الكرسي

اسباب ممارستهن تلك المهنة و كيف انها فرضت على نساءها- نساء الرواية- و هو ما لخصته قصة (ضوية) التي التقاها الراوي / الصحفي (علي) لتسرد قصتها عن بدايات وصولها الى بيت الميدان حين رافقها الرجل الذي هربها قائلًا لها (انت في جميع الاحوال تعملين في الدعارة ... فعملي لصالحك انت على الاقل، لعلك تجمعين مبلغ من المال و تهربين خارج البلاد ... قال انه سيوصلني الى نزل في منطقة الميدان تديره امرأ طيبة كان قد اتفق معها على استقبالي ... وهكذا و وصلت الى هذا المنزل، كما ترى<sup>(٢)</sup>).

فالراوي يسלט الضوء على تفاصيل ذلك العالم حين يوظف طبيعة العمل و الوسطاء، حتى يصل الامر الى الاستقلالية في العمل !!، كما انه يقترب كثيرا من الواقع العراقي حين يختار اماكن واقعية عرفت بممارسة هذه المهنة منذ زمن طويل.

فيما تقدم رواية (مشرحة بغداد) مدى السقوط الاخلاقي للأم حين تخطط لابتنزاز الرجال عن طريق اقامة ابنتها للعلاقات غير الشرعية معهم، فتقول حوراء البغدادي ساردة قصتها، موضحة موقف امها و عشيقها من علاقتها بالرجل الذي اراد معاشرتها (خرجت امي طالبة مني الخروج معها الى احدي الطبيبات لرتق غشاء البكارة الممزق ... كانت عملية بسيطة بقيت ل اسبوع ... بدأت اجيب على اتصالاته مؤكدة بأني بنت عائلة كريمة و محافظة، وأن أُمي

ذلك الحين اصبح عشيقها المفضل، ينام عندها متى شاء ... تحقق له ما كل ما يريد حتى انها لا تمنع اذا كبلها من يديها ورجليها متى شاء<sup>(١)</sup>، اذ ترتبط ثيمتي الدعارة والخيانة الزوجية، فالزوجة قد انتفعت من عملية خطف زوجها، اضافة لممارستها العلاقة مع الخاطف، ما يؤثر هبوط المستوى الاخلاقي للمرأة وتدنيه، والحال نفسها مع زوجها الذي كان سارقاً ايضاً، فهو سرق جزءاً من ثروة الحاكم، لكنها سرقت وخانت .

#### • الاغتصاب :

يمثل الاغتصاب اعلى صور توحش المجتمع والعودة الى الاصول الحيوانية وسيادة مبدأ الغاب ممثلاً بالرجل الذي يقتحم جسد المرأة بكل وحشية ويستبيحه دون رضاها، وفي نصوص الديستوبيا تعددت ثيمات الاغتصاب وطرحت وفقاً لطبيعة العلاقة بين الرجل والمرأة، فقدمت ثيمة الاغتصاب المرتكزة على علاقة (زنى المحارم) او سفاح القربى، ففي رواية (خان الشابندر) قدمت تلك الثيمة حين تسرد (ضوية) قصتها للصحفي وتبين سبب سقوطها الاخلاقي ووصولها الى بيت الدعارة حين تجيب عن اسئلة الراوي / الصحفي قائلة (ليس هناك نقاط يا عيني ... كل ما في القصة ان ابي نام معي عندما كنت في الرابعة عشرة .

- ماذا؟ ... ابوك؟ ...

الذي كنت جالساً عليه وقفت ثم انحنت نصف انحناءة على كتفي فبان بياض نهديها الى ناظريه ... اقتربت بصحبة هيفاء الى كرسي الحاج وانا أقدمها اليه كهدية متواضعة خرجت كلماتي كأنها زلة لسان لم انتبه لها، كشفت بها عن طموحاتي وانا افضي بما تمتلكه هيفاء من مواهب يجذبها الحاج ... هناك تركتها وانسللت بين الموائد اوزع ابتسامات باهته<sup>(٢)</sup>، ولا يخفى النقد الموجه للسلطة ممثلاً بمسؤوليها، فالدعارة لا ترتبط بالمرأة وحدها انما تكون العلاقة هنا حسب مبدأ العرض والطلب، فتحقيق المتعة غير المشروعة للطرفين قائمة، اذ يحقق فرهود طموحاته في الترشيح للانتخابات، فيما يحقق الحاج المسؤول متعته الجسدية مع اداة فرهود وهي شخصية هيفاء .

وقد يأتي اشباع الرغبة الجسدية بحجة الانتقام وممارسة الجنس نوعاً من الدعارة، كما طرحتها رواية (بغداد مالبورو)، اذ يسرد الراوي قصة (محمد باريس) المشبه ب(روبين هود) الذي يسرق من كبار اللصوص، علاقته بزوجة احد ضحاياه، وكانت قد اتفقت معه على خطف زوجها وحددت مبلغ الفدية، فيقول (قالت له ان زوجها ثري كبير عمل مع الابن الاكبر للحاكم السابق، وانه حصل على جزء من ثروته بعد هروب الحاكم واولاده، وانها تريد الانتقام منه لأنه تزوج صبية ... بعد ايام لم تكتف الزوجة بدفع الفدية واخذ حصة لها بلغت اربعة اضعاف ما حصل عليه، بل منذ

(٢) بغداد مالبورو، نجم والي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط١، ٢٠١٢: ٢٦ .

(١) زهايمر: ٧٨ .

- اتاني في الليل وانا نائمة، ورفع ثوبي واخذني .. كنت لا اعرف شيئاً ... وانا ارتجف مرعوبة ... وعندما انتهى مني انسل الى سريره ونام امي ... حبلت منه بدأت بطني بالتكور، ثم اكتشفت امي الامر، واخذت تلطم خدودها وتعنفني وما فتأت تسألني ... من فعل وبك هذا، ولم استطع مصارحتها بالأمر...<sup>(١)</sup>.

ولما كان المجتمع العربي والعراقي على حد سواء يقيم شرف المرأة وعفتها بربطه بجسدها ولاسيما قدسية (غشاء البكارة)، فلقد صور المرأة الفاقدة لعذريتها ككائن منبوذ ف(عندما تتعرض البنت للاغتصاب او تكون ضحية زنا المحارم ... تجد نفسها وحيدة تعاني من عقدة الذنب ... وهذه الوضعية تعد من العوامل التي تدفع الفتاة احياناً الى الهرب بدافع الخوف واتقاء الفضيحة)<sup>(٢)</sup>، ويبدو واضحاً تواطؤ المجتمع مع الجلاد / الرجل ضد الضحية / المرأة، فيصوره النص ضمناً فاقداً لقيم الرجولة .

كما وتقدم ثيمة الاغتصاب نموذجاً للابتذال الديني ممثلاً بشيخ الجامع في رواية (الخفافيش تراود الضياء) الذي عمد الى اغتصاب المرأة (نضال) المرأة التي عقد قرانها على الرجل الذي كان يتردد اليه كثيراً، فلقد جاء الشيخ هاشم (بدون عمامته البيضاء ... كان يحمل مفك براغي استعمله لكسر الباب بهدوء وتسلل الى الداخل ... سار بهدوء في ارجاء البيت ووصل الى غرفة (جاسم) ... نظر

من خلال الفتحة في الباب وتأكد من وجود (نضال) نائمة في السرير والى جانب السرير مهد الطفل ... وقف لدقائق يتأمل في (نضال) ... كانت هناك تنحني في اغفائها على السرير... يبدأ بشمها من خصلات شعرها الى اسفل ... ككلب بوليسي مدرب ... فتفبق (نضال) ... تأخذها الصدمة تحاول الصراخ فيضع يده بقسوة على فمها ... يسيطر على حركتها ... يمزق المبخوت قميصها وتنورتها يعريها بوحشية ويغتصبها)<sup>(٣)</sup>، وتأخذ ثيمة الاغتصاب خصوصيتها في هذه الرواية، فرجل الدين ممثلاً عن المؤسسة الدينية هو الذي يقوم بواقعة الاغتصاب، ما يعني فضح زيف رجال الدين - بحسب ما طرحه الرواية - وكشف مرضهم في النهم الجنسي، اذ يتجرد شيخ الجامع من كل القيم الاخلاقية بما فيها الروحية ليمارس دور الجاني والمغتصب لامرأة متزوجة، وما تصوير الراوي لكيفية ممارسته الاغتصاب ووصفه ب (الكلب البوليسي المدرب) الاشارة الى ممارسته تلك الحالة بصورة دائمة، وهو الرجل الزاهد من منظور الناس المخدوعين به .

ولما كانت ثيمة الاغتصاب قد طرحت في روايات التغيير اي بعد العام ٢٠٠٣، فان بعضها قد رجع في زمن احداثه الى ما قبل تلك الحقبة بوصفها مسكوتاً عنه لم يستطع التطرق اليه بسبب نفوذ المتسلطين في زمن النظام السابق، وهو ما طرحته رواية (زهيمر x) في الاشارة الى اغتصاب ودیعة من قبل (فرهود)

(١) خان الشايندر: ١٦-١٧ .

(٢) البغاء او الجسد المستباح : ٤١ .

(٣) الخفافيش تراود الضياء : ٨٦-٨٧ .



## المبحث الثالث

### السقوط القيمي الفكري

ونعني به السقوط الفكري وليس المادي، اي ما يتعلق بالقيمة ولا يكون الجسد اداةً لتمثله، اذ تعددت ثيمات هذا النوع فشخصت اسباب الانهيار الاجتماعي والاقتصادي وتخلخل بنية المجتمع الذي نتجت عنه مظاهر اجتماعية سلبية، وقد استطاعت النصوص الروائية تجسيدها ومنها: التحول الطبقي ونعني الصعود المفاجئ للمهمشين او الطبقات الفقيرة، والرشوة التي نخرت جسد المجتمع العراقي، والسرقة ونعني تحديداً عمليات السلب والنهب التي رافقت الاحتلال، والرشوة التي كانت وسيلة لتسهيل الامور وشراء الذمم، وقد كان اخر مظاهر السقوط القيمي هو التصفيات الجسدية التي وان اختلفت دوافعها واسبابها فإنها شخصت سقوطاً فكرياً وموتاً للضمير في ممارسة ابشع جرائم قد ترتكب بحق الانسانية .

#### • التحول الطبقي:

يشكل التحول الطبقي او الصعود المفاجئ لبعض الطبقات مؤشراً واضحاً للتغيرات الاجتماعية في مجتمع ما، وفي عمق الفوضى يأتي انتقال طبقة الفقراء او المهمشين الى قمة الهرم في المجتمع حين تصبح هي الطبقة المتنفذة بفعل المكاسب غير المشروعة التي تحققت لها في ظل ظروف

الذي تاجر بقضية اعدام عمه المعارض للنظام السابق - فيما بعد -، اذ تقول وديعة واصفة واقعة اغتصابها (لقد نسيت أمي الباب الخارجي موارياً ... ظننت انها قد اغلقته .. حبست انفاسي وارهفت السمع .. كان قبالي وجهها لوجه .. دفعني بقوة الى السرير واعتلى صهوتي .. حاولت مقاومته وانا اتشنج بخفوت لكن كف الرجل الذي لجم فمي جعلني لا اصدر الا انيناً مكتوماً يشبه انين القطط .. اردت ان ازحزحه من فوقني .. اخترقني مرة تلو الاخرى وكأنه يجلدني بالسوط .. تدلى رأسي من تحته لتتعلق نظراتي في سقف الغرفة ابحت عن امي كي تساعدني .. دون جدوى .. فقد طفرت قطرات الدم على فراشي .. رأيت الخزي يحيط بي ..<sup>(١)</sup>، يأتي تصوير الشخصية (وديعة) لهمجية الاغتصاب ووحشية «كأنه سوط يجلدنا»، ليكشف درجة معاناتها ومدى القهر الجسدي الذي تعرضت له، فزمن الحادثة - وان وقعت في زمن قبل سقوط النظام - الا ان جرحها لا يزال ملازماً للشخصية فبسبه فقدت عذريتها، شرط مرورها لعالم الاستقرار في مجتمعاتنا الشرقية العربية.

\* \* \*

المادي قائلاً (يومها اهتزت ثقتي بيحيى شفيق نفسه، ذلك لأنني خرجت من ذلك اللقاء وقد ايقنت ان صديقي القديم لم يعد كما عهدته في الماضي نموذجاً للبراءة والتلقائية، انما بدا كمن ينتهز بدوره فرصته سعياً وراء اهدافه الشخصية وفي مقدمتها اشباع نهمه المتأصل الى المال ... وجدنتني زاهداً بهذا اللقاء ذلك لأنني ايقنت يومها ان يحيى ليس اكثر من نموذج لهؤلاء الاثرياء المستحدثين الباعثين على الكراهية .. الاحتقار!)<sup>(١)</sup>.

فيما تطرح رواية (زهايمر x) ذلك التحول الذي طرأ على عائلة (فرهود)، تلك العائلة الفقيرة التي وصف حالها فرهود مستذكراً (كنا نجوب الطرقات في عربة ذات اطارين من المطاط وهي تحمل على ظهرها برميل نפט كبير ... وكانت الكنية التي رافقتنا «بيت ابو النفط». امي الضحية الاولى لهذه المهنة المتعبة .. حيث كانت تعاني من التعب الشيء الكثير وهي تنظف ملابسنا ووسائد البيت الملطخة بالزيت .. وهي التي تسكت صراخ الجائعين بما لديها من القوت اليومي ..)<sup>(٢)</sup>، فمن حال فقيرة ووضع معيشي متدن، تعب وارهاق جسدي ونفسي، يأتي عصر الانفلات ليقلب المستوى الاجتماعي لتلك العائلة فتصبح في اعلى الهرم، يتضح ذلك في وصف فرهود لحالهم الجديد، بعد ان اصبح متنفذاً يدير شركة كبيرة فيقول (ضربت كرسيي الوثير ذا المساند

التغيير، اذ اصبح انخفاض مستوى المعيشة واضحاً بالنسبة للطبقة المتوسطة، فيما ارتفع المستوى المعيشي لطبقات المهمشين، ولم تغفل نصوص الديستوبيا تلك الظاهرة، فعمدت الى توظيفها لتشير الى حجم التحولات وخطرها في المجتمع، ففي رواية (كوثاريا) يقدم الصعود الطبقي المفاجئ في سرد الراوي عن تغير حال (سمير) صديقه قائلاً (كيف تعلم سمير فن الحديث بهذه الفترة القصيرة واجاده؟ كيف تحصل على هذه الاموال الطائلة؟ علم نفسه بنفسه استعداداً لهذا الوضع الفوضوي المنفلت؟ تحصل على الاموال ذات الفوضى؟ فهو فنان بارع بالتصيد في مائها مهما كان عكراً؟... ربما دخل دورة سريعة مكثفة عند شيطان رجيم الهمة فن الحديث وفن القيادة الذي مارسه نوعاً ما ايام السجن . وهذا الشيطان هو الذي النقدي اعطاه هذه الثروة الهائلة من العملات النقديّة)<sup>(٣)</sup>، فالنص يكشف عن اسباب التحول الطبقي لشخصية (سمير) ويوضح اسبابها غير المشروعة ولاسيما في وصفه للمعلم ب (الشيطان الرجيم).

وقد يؤشر ذلك الصعود المفاجئ خلافاً في العلاقات الاجتماعية، حين يكشف الوجه الحقيقي للشخصية كونها انتهازية وجشعة، فالوضع الجديد الحرج يكون هو المحك لاختبار قيم الافراد، وهو ما أشترته رواية (ليل علي بابا الحزين)، حين يسرد الراوي احساسه بصديقه القديم (يحيى) وقد تغير وضعه

(٢) ليل علي بابا الحزين : ١٨٠ .

(٣) زهايمر x : ٤٩ .

(١) كوثراريا : ٢٢٠٢٣ .



الشارع العراقي قائلاً (ان لفظه «البحارة» مصطلح جديد يطلق عادة على صنف من السواق حوروا خزانات سياراتهم بالطريقة التي تجعلها تستوعب اضعاف الكميات المعتادة من الوقود!

وهكذا تسنى لي، ذلك اليوم، ان اضيف مصطلحاً جديداً الى «معجم الاحتلال»، فبعد مصطلح «الحواسم» الذي يطلق على لصوص الوزارات والدوائر الرسمية، ومصطلح «القفاصة» الذي يطلق على مجاميع يعمدون الى افتعال معركة وهمية على مرأى منك لغرض استدراجك للتدخل لتهدئة الخواطر لتكون النتيجة سرقتك، ومصطلح «العلاسة» الذي يطلق على الوشاة بين الاطراف المتنافسة، ها هو مصطلح «البحارة» يشرف ذلك المعجم<sup>(٢)</sup>، يكشف النص عن استحداث ممارسات جديدة للسرقة وافكار تسارع في انهيار منظومة القيم وتخريب كل ما يمت بصلة لبنية المجتمع.

وفي السياق نفسه - اي لصوص حقبة الحواسم بحسب ما طرحه النصوص الروائية -، تقدم رواية (بغداد مالبورو) ادانتها لتلك الفئة بطريقة السخرية، حين يصير الراوي من احدى الشخصيات، الذي كان جندياً في الجيش السابق، يصير منه خاطفاً (يختار ضحاياه من كبار اللصوص «الحواسم» اولئك اللصوص الذين انتشروا في بغداد مباشرة بعد دخول القوات الامريكية اليها لسرقة ما يمكن سرقة بدل

الخشبية اللامعة، وجلت ببصري نحو المزهريات التي تحيط بمكتبي، واصص النباتات الظلية في زوايا القاعة القريبة من الستائر العريضة .. طرقات خفيفة على الباب .. حاج .. هذه الموظفة الجديدة ..<sup>(١)</sup>، ولا تخفى دلالات الالقاب وحمولاتها، فمن «بيت ابو النفط» البائع المتجول الى «الحاج» المتنفذ، وقد شاعت كلمة «حاج» بعد التغيير بوصفها معبرة عن مكانة اجتماعية ليعوض (فرهود) الذي اصبح (الحاج) ذلك البؤس الذي عانته العائلة .

#### • السرقة :

لما كان الحفاظ على المال العام والممتلكات في حال اي نظام، أهم مؤشرات الوعي العالي لأفراده وادراكهم لواجبات المواطنة، فلقد شكلت ظاهرة (السرقة) بوصفها المفهوم المضاد للحفاظ على تلك الممتلكات أهم ثيمات الاشتغال السردى في نصوص الديستوبيا، اذ اعلنت قوات الاحتلال مباركتها لتفشي ظاهرة السلب والنهب، لأنها تدرك جيداً ان تلك الظاهرة هي اولى مؤشرات خلخلة البنية الاجتماعية، التي ظهرت ملامحها في السرقة العلنية لممتلكات الدولة في وضح النهار، وكذلك ظهور طرق جديدة للسرقة تكون على حساب الاقتصاد وحصص افراد الشعب .

في رواية (ليل علي بابا الحزين) يلخص الراوي طرق السرقة وانواعها التي كانت احدى تداعيات الاحتلال، فيحدد مصطلحات السرقة التي سادت

(٢) ليل علي بابا الحزين : ١٦٧ .

(١) زهايمر : ٥١ .

الوطنية لأفراده وكأن البد اضحى فريسة يتقاسمها الخاصة والعامه، كما انه يركز قضية تهريب الاموال الى خارج البلد الامر الذي سيؤثر على اقتصادها وخلخله البنية الاقتصادية، وهو تماماً ما اتفق عليه الروائيون حين شخصوا الجهل وعدم الوعي بنتائج تلك الظواهر الكارثية على البلد.

#### • الرشوة:

بعد ان تسببت السرقة في ضياع المال العام وانهار متزامناً مع انهيار القطاع الصناعي والانتاجي حصل الركود الاقتصادي الذي تسبب بتدني مستويات المعيشة، تلك الازمة التي فتحت الباب على مصراعيه (للرشوة)، فأصبح استغلال المناصب بغية تحقيق منافع خاصة، الثيمة الجديدة التي طرحتها روايات الديستوبيا بوصفها احدى مظاهر الفساد الاخلاقي ونعني بها هنا (الرشوة)، ففي رواية (ليل علي بابا الحزين) يصور الراوي وجهة نظر صديقه (يحيى) في حجم الارباح والفائدة التي تعم عليه اثر عمله في مراقبة الحدود مع ايران، فيقول متحمساً (عليك بالقدوم الى ذلك المنفذ الحدودي لتكتشف أن مغارة «علي بابا» تقع هناك، فالإشراف على عمليات اجتياز الحدود مهنة تدر ذهباً فضلاً عن تزام ذلك الموضع بمئات الشاحنات الايرانية المحملة، بمختلف البضائع، هناك طواير الزوار الذين يعدون بالآلاف وهم يستمتون لاجتياز الحدود للزيارة المقدسة!)<sup>(٤)</sup>، فصورة الابتزاز وسيادة مبدأ النفعية

القتال في «ام الحواسم»<sup>(١)</sup>.

فهؤلاء اللصوص او الطبقة الجديدة التي تشكلت بفعل السطو على المال العام، واستغلوا حالة الفوضى وغياب القانون ليسرقوا ما يقع تحت، لم ينجوا من العقاب، فمحاولة الروائي معاقبة اولئك الافراد من قبل جندي في الجيش السابق حين يقوم بسرقتهم. انما هي ادانة وسخرية من النظام الجديد ممثلاً بالسلطة سواء كانت سلطة المحتل ام سلطة الاحزاب التي تلتها حين كانت المرتع الخصب لتفشي كل مظاهر الفساد في الدولة.

وقد تقترن السرقة بجرائم القتل في ظل الوضع الفوضوي المنفلت الذي عم البلاد، اذ تصور رواية (وجه فنسنت القبيح) تلك المظاهر حال دخول القوات البريطانية لمدينة البصرة، فيشير الراوي الى ذلك في معرض حديثه عن جرائم القتل آنذاك قائلاً (هذه هي الجريمة الاولى التي تحدث في البصرة بعد ايام من الهدوء الذي اعقب دخول القوات البريطانية واعمال النهب..)<sup>(٢)</sup>.

وعبر توظيفها للهجة العامية تطرح رواية (هتليه) قضية السرقة، التي وصلت لعامة افراد الشعب وكأنها مرض مستشر بين الجميع، حين يقول (لك ما بقه واحد من الناس ما كال اني الي حصة .. ومد ايدته بالخرج .. وجيب .. وسجل .. واخذ .. وطيارة تودي وطيارة تجيب)<sup>(٣)</sup>، يدين الراوي قضية انتفاء الروح

(١) بغداد مالبورو: ٢٣.

(٢) وجه فنسنت القبيح: ضياء جيبلي نسخة الكترونية.

(٣) هتليه: ٢٨٥.

(٤) ليل علي بابا الحزين: ١٧٦.



وتغيب مصلحة الشعب والبلد وكيفية المتاجرة باستغلال مؤدي الطقوس الدينية الروحية بغية تحقيق المنفعة المادية .

وإذا كان النص السابق يوضح كيفية الاستفادة من الشاحنات او البضائع باستغلال موقع المراقبة، فان النص التالي يوضح الخطر الذي تلعبه الرشوة في تسهيل العمليات الارهابية والتخريبية التي تحدث في البلد، وهو ما اشترته رواية (كوثاريا) في اعتراف (سمير) صديق الراوي حين قال (لقد لعبت على حبال شياطين الجوار من عرب وفرنس واتراك، كل منهم التقت بعض مصالحه وطموحاتي الشخصية . نفذوا الكثير مما وعدوا به في المرات السابقة من رزم خضراء لاتعد، فوهات معدنية، عدسات عيون لاصقة، مكاسب سياسية زرعت من خلالها اتباعي في اكثر مفاصل النظام الجديد حساسية)<sup>(١)</sup>، لاتعي شخصية (سمير) مدى الخطر الذي يحيق بالدولة، فالرشوة التي تدفع انما تسبب ضعفاً لأجهزة الدولة ولاسيما المتعلقة بالجانب الامني فيها، ما يتركها نهياً لتنفيذ مخططات التخريب والارهاب، كما يؤكد الراوي قضية ارتباط الارهاب بدول الجوار وتمويله وكيفية وصولهم الى اكثر اجهزة الدولة حساسية، وعلى قدر وعي الروائي في كيفية توظيفه لتلك الثيمة، يقدم جهل شخصية (سمير)، الذي صور له جشع وغباء قدرته على استغلال مافيات الارهاب ، حتى جندوه لخدمة اغراضهم، ولا تخفى ادانة الروائي للجهل

وللجهات المتنفة استغلت جشع هؤلاء واشترت ذممهم .

فيما تقدم أشبع صور الاستغلال والمساومة، حين يطلب من اهل (الميت) دفع رشوة لاستلام جثة ميتهم، وهو ما طرحته رواية (هتليه)، اذ يصف الراوي متأماً ذلك الموقف بالقول (غير الواقف الى جانبي الورقة النقدية بكومة من الاوراق الحمر، ابتسمت اليد ودست المبلغ في جيب احتقارها وما لبثت ان همست - من لا يدفع هذا المبلغ عليه ان لا يفكر باستلام جثته، واجهشتُ باكياً، لا لشيء، سوى لأنني رحمت انا من ما نسميه وطناً وهو يساوم موتاه من أجل حفنة من الحقارات والكراهيات والموت المجاني)<sup>(٢)</sup>، تتجلى اقبح صورة للفساد ممثلةً بالرشوة حين يستغل القائم على تسليم الجثة منصبه - على وضاعته - في استغلال ومساومة اهل الميت في طلب الرشوة وهم في اسوء حال يمكن ان يصل اليه الفرد بوصفهم منكوبين بفقيدهم، وفي النص تصوير دقيق لإحساس الفرد وهو يتأمل ضياع حقوق المواطنة في وطنه الذي مزقته مظاهر الفساد فأصبح لا يليق بتسميته وطناً بل مكاناً للجذب والاضمحلال والطغيان .

#### التصفيات الجسدية والخطف والتعذيب :

سادت عمليات القتل والخطف في المجتمع العراقي كظاهرة طبيعية نتيجة الصراع الطائفي الذي أجم في العام ٢٠٠٦، ولم تغفل الرواية العراقية تلك

(٢) هتليه : ١٥.

(١) كوثراريا : ٤٧.

الظاهرة، التي شلت الحياة في العاصمة بغداد على وجه الخصوص، فعمد روائي نصوص الديستوبيا الى تصوير القتل بوصفه حالة اعتيادية آلفها العراقيون بدءاً بمشاهد الجثث في الشوارع وحالة الرعب والقلق التي عاشتها الذات العراقية وهي تحاول ممارسة الحياة اليومية .

فمنست القبيح) ف(في شارع من شوارع البصرة بعد خرابها الاخير، وعند زاوية تتجمع فيها النفايات والاوساخ، ابغ احد المتسولين عن وجود جثة متحللة بشكل صار من الصعب على القوات البريطانية التعرف على صاحبها)<sup>(٢)</sup>، في النص اكثر من مظهر لمظاهر الفساد ففيها الخراب المادي للمدينة، وجريمة القتل وانتهاك حرمة الجسد (الجثة)، وتدني المستوى المعيشي للأفراد، فالنص اختزل تلك الظواهر بتكثيف ثيماته وقصر سرده .

وتقدم ثيمة (الخطف) بوصفها احد مظاهر الفوضى التي تعم البلاد، ففي رواية (ليل علي بابا الحزين)، تقدم كحالة مألوفة بين الافراد قد طغت في المجتمع، يشير اليها الراوي عبر اتصال (دنيا) الزوجة الثانية لصديقه (يحيى) لتخبره بحادثة اختطافه، فيقول (فوجئت ذات يوم باتصال من دنيا ... اخبرتني فيه دون مقدمات باختطاف يحيى !!

- وكيف اختطف ..

- كما يختطف الأف الناس ... وقد اتصل خاطفوه بزوجته وطالبوها بدفع فدية لقاء اطلاقه)<sup>(٣)</sup>.

ويصرح الراوي بالمصير المجهول الذي ينتظر (يحيى) ومن يشابهه في حاله قائلاً (يحيى اختفى، خطف أم قتل؟ كل شيء بات متوقفاً وسط هذه الفوضى الضاربة باطنابها في البلاد طويلاً وعرضاً)<sup>(٤)</sup>.

الظاهرة، التي شلت الحياة في العاصمة بغداد على وجه الخصوص، فعمد روائي نصوص الديستوبيا الى تصوير القتل بوصفه حالة اعتيادية آلفها العراقيون بدءاً بمشاهد الجثث في الشوارع وحالة الرعب والقلق التي عاشتها الذات العراقية وهي تحاول ممارسة الحياة اليومية .

في رواية (مشرحة بغداد) التي تحمل رؤية سوداوية معتمة، قدمت فيها رؤية العالم بعيون الموتى، كانت ثيمتها الاساس هي (الموت) سواء اكان عبر التصفية الجسدية أم القتل في التفجيرات الارهابية، اذ تفتتح الرواية بقصة الفتى الذي ذبحته الجماعات المتطرفة بحجة تجسسه لإحدى الميليشيات، يصف الراوي كابوسية المشهد قائلاً (ضغط الاثنان على ذراعي الفتى المذعور الممدودتين على جانبي البانيو ... امسك حامل السكين بخصلة شعر امامية ساحباً رأس الفتى المذعور الى الاعلى بقوة، بينما مرر نصل سكينه الكبيرة بقوة على عنقه ذابحاً اياه ... الا ان حامل السكين لم يكتف بما فعل، وانما اخذ يقطع العنق بعمق، محاولاً أن يجز الرأس)<sup>(١)</sup>، فمثلت تلك الصورة اعلى درجات التوحش والهمجية التي قد يصل اليها الانسان .

وقد يبلغ التدني الأخلاقي وموت الضمير درجة من عدم احترام حرمة الموت، ممثلاً بحرمة جسد الضحية، حين يلقي المجرمون جثة المقتول في مكان تجمع النفايات، وهو ما صورته رواية (وجه

(٢) وجه منست القبيح : ٤ .

(٣) ليل علي بابا الحزين : ٣١٢-٣١٣ .

(٤) م. ن : ٣٣٠ .

(١) مشرحة بغداد : ١٥ .

ويأتي التعذيب الجسدي وانتهاك حقوق انسان بريء بسبب مرض نفسي تعانیه الشخصية التي اصبحت متنفذة بعد العام ٢٠٠٣، نموذجاً لسيادة قانون الغاب والفوضى وغياب العدالة، وهو ما طرحته رواية (كوثاريا) حين استفهم الراوي من (سمير) المريض نفسياً عن سبب تعذيبه للرجل الذي كانت زوجته ترعاه حين كان طفلاً (- اول مرة اراك تضرب معاقاً ..

- هذا الذي اخلصت له وفضلته علي، ماذا رأت فيه افضل مني ؟ ... لو انها طاوعتني لطاوعتها ولاصحتُ أي انسان تريد... لولاه لكانت لي ولما اصبحتُ قائد حثالة من اشباه الرجال امثالكم ..

عرفت ان هذا المسكين هو حمود الاعرج زوج فوزية، العقدة المستعصية في نفس سمير، رثيْتُ لحاله، لمصيره الاسود الذي سيلاقيه ... ها هو اليوم تحت رحمته ولا خوف من قانون او ذرة ضمير تردعه<sup>(١)</sup>، اذ يكشف النص سيادة قانون الغاب، وفوضى الامراض النفسية والاخلاقية التي انحدر اليها افراد المجتمع، وهو ما ادانه الراوي في هذا النص .

\* \* \*

## الخاتمة

- في مجتمع مدينة الخراب المتخيلة حاول الروائيون تجسيد قيم الخواء الروحي والمادي، بوصف نصوصهم رد فعل على ما قد حدث وسيحدث في العراق، وبوصفهم الفئة الوحيدة التي تستطيع ان تقاوم ذلك العالم بتشخيص علله وآفاته، وما كان نقدهم وادانتهم لأسباب الانحدار والاضمحلال بما فيها السقوط القيمي وادانته بجرأة واضحة الا وسيلة للمقاومة والتوعية، فاذا كانت تلك النصوص قد جسدت كيفية انهيار المنظومة الاخلاقية ومن بعدها الاجتماعية، فأنها قد سجلت في المقابل وعياً عالياً في المنظومة المعرفية والايديولوجية للروائيين الذين وعوا دورهم في مواجهة تلك الازمة عبر خطاباتهم الموازية للواقع .

- تجسدت نتائج ازمت السقوط القيمي في الشعور بعدم الانتماء والاغتراب والافق المسدود والمظلم، والقوة المطلقة للسلطة الدينية، والازمة الاقتصادية، وتعددية الطبقات في المجتمع وازمة الصراع السياسي والديني بما فيه المذهبي، والشعور بالخوف والقلق ومطاردة الموت للأفراد في اية لحظة، وهي اجمالاً مصادرة انسانية الفرد وسحقه .

- ان تلك المحكيات عللت ثيمات السقوط القيمي في الجانب الاجتماعي بسبب من تفكك الاسرة وتشييء افرادها ومعاملتهم بوصفهم سلعاً والافتقار الى العلاقات الروحية، والحاجة للنصف

(١) كوثرانيا: ٢٨ .

## المصادر والمراجع

### أولاً: الأعمال الروائية

- ١- بغداد مالبورو، نجم والي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط١، ٢٠١٢.
- ٢- خان الشابندر، محمد حياوي، دار الآداب، بيروت، ط١، ٢٠١٥.
- ٣- الخفافيش تراود الضياء، ميثم الحلو، دار سطور، بغداد، ط١، ٢٠١٥.
- ٤- زهايمر x، عبد الزهرة علي، دار ميزوبوتاميا، ط١، ٢٠١٥.
- ٥- كوثرانيا، نعيم آل مسافر، دار ميزوبوتاميا، ط١، ٢٠١٤.
- ٦- ليل علي بابا الحزين، عبد الخالق الركابي، دار ومكتبة عدنان، ط١، ٢٠١٣.
- ٧- مشرحة بغداد، برهان شاوي، دار ميزوبوتاميا، بغداد، ط١، ٢٠١٤.
- ٨- هتليه، شوقي كريم حسن (دون دار طبع)، ط١، ٢٠١٦.
- ٩- وجه فنسنت القبيح، ضياء جبيلي، نسخة الكترونية.

### ثانياً: المراجع

- ١٠- البغاء او الجسد المستباح، فاطمة الزهراء ازرويل، افريقيا الشرق، بيروت - لبنان، ٢٠٠١
- ١١- الرواية العربية ورهان التجديد، د. محمد برادة، دار الصدى للصحافة والنشر والتوزيع، كتاب

المكمل والامراض النفسية هو ما دفع تلك الشخصيات الى ممارسة تلك السلوكيات ومنها الشذوذ والدعارة والاعتصاب، ويأتي تناول تلك الثيمات من قبل الروائيين لا بقصد فضح المجتمع وتعريته، قدر ما تكون محاولة معالجتها لأنها موجودة لكن بعضها كان مسكوتاً عنه، والسكوت عنه لا ينفي وجوده.

- كما شكلت ثيمة الرشوة والسرقة والتحول الطبقي والتصفيات الجسدية والخطف نقدا للواقع السياسي وللقائمين على العملية السياسية بوصفهم المسؤولين الاوائل عن انهيار منظومة القيم المجتمعية، فلولا انهيار الاقتصاد وتردي الاوضاع المعيشية لما نتجت تلك القيم.

والمحكيات اجمالاً قدمت السقوط القيمي بكل اشكاله معبرة عن أزمة يعيشها المجتمع، اذ تحاول ان ترسم واقعاً جديداً عبر ذلك المتخيل ليحكي حقبة الظلام والفوضى التي عاثت بالواقع المعيش والمتهويل الروائي على حد سواء، وكأنها زفرة تلفظ سمومها لتخلص منها الذوات الكاتبة والشخصيات المنكته، كأنها غصة عبر عنه ذلك النفس السردي القصير، فجاءت بوحا في زمن الفوضى والانهيار.

\* \* \*



- دبي الثقافية، العدد ٤٩، ط١، مايو، ٢٠١١
- ١٢- الرواية والقيم، الدكتور لطيف زيتوني، دار الفارابي، ط١، ٢٠١٨ .
- ١٣- بغداد والأمن وهموم أخرى، حسن البيضاني، دار ومكتبة عدنان، بغداد، ط١، ٢٠١٢ .
- ١٤- قيمة القيم، المهدي المنجرة، ط٢، مطبعة النجاح، الدار البيضاء، ٢٠٠٧ .
- ١٥- المتخيل المختلف، دراسات تأويلية في الرواية العربية المعاصرة، محمد معتصم، منشورات ضفاف - منشورات الاختلاف، بيروت، ط١، ٢٠١٤
- ١٦- ندوة الرواية العربية والنقد، ٨-٩ كانون الثاني ٢٠١٠، المدخلات والتوصيلات، مجموعة باحثين، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، ط١، ٢٠١٠ .

#### ثالثا: الشبكة المعلوماتية

- ١٧- الديستوبيا، المستقبل المخيف في الأدب العالمي، مقال من شبكة المعلومات. [www.noonpost.net](http://www.noonpost.net) تم الاطلاع بتاريخ ٢٠٢٠/٤/٤ .
- ١٨- ما الذي أفرزه الاحتلال من فساد وتردي بالأخلاق والقيم والمبادئ على المجتمع العراقي؟ جزار صالح المفتي، مقال من شبكة المعلومات، <http://www.ahewar.com> تم الاطلاع بتاريخ ٢٠٢٠/٤/٤ .
- ١٩- منظومة القيم وأثرها في بناء المجتمعات وانهيائها : أ. شريف عبد العزيز، مقال من شبكة المعلومات <https://khutabaa.com> تم الاطلاع بتاريخ ٢٠٢٠/٤/٦ .